

تفسير البحر المحيط

. @ 222 @

أي : لستن مثلهن إن اتقيتن □ ، وذلك لما انضاف مع تقوى □ من صحبة الرسول وعظيم
المحل منه ، ونزول القرآن في بيتهن وفي حقهن . وقال الزمخشري : { إِنْ اتَّقَيْتُنَّ }
: إن أردتن التقوى ، وإن كن متقيات . { فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ } : فلا تجبن
بقولكن خاضعاً ، أي لينا خنثاً ، مثل كلام المريبات والمومسات . { فَيَطْمَعِ الْكَافِرُ
فِي قَوْلِيهِ مَرَضٌ } : أي ريبة وفجورا . انتهى . فعلى القول الأول يكون { إِنْ
اتَّقَيْتُنَّ } قيدا في كونهن لسن كأحد من النساء ، ويكون جواب الشرط محذوفاً . وعلى
ما قاله الزمخشري ، يكون { إِنْ } ابتداء شرط ، وجوابه { اتَّقَيْتُنَّ } وَلَا
تَخْضَعْنَ ، وكلا القولين فيهما حمل . { إِنْ اتَّقَيْتُنَّ } على تقوى □ تعالى ،
وهو ظاهر الاستعمال ، وعندي أنه محمول على أن معناه : إن استقبلتن أحداً ، { فَلَا
تَخْضَعْنَ } . واتقى بمعنى : استقبل معروف في اللغة ، قال النابغة : % (سقط النصف
ولم تردا إسقاطه % .

فتناولته واتقتنها باليد .

. %)

أي : استقبلتنا باليد ، ويكون هذا المعنى أبلغ في مدحهن ، إذ لم يعلق فضيلتهن على
التقوى ، ولا علق نهيهن عن الخضوع بها ، إذ هن متقيات □ في أنفسهن ، والتعليق يقتضي
ظاهره أنهن لسن متحليات بالتقوى . قال ابن عباس : لا ترخص بالقول . وقال الحسن : لا
تكلمن بالرفث . وقال الكلبي : لا تكلمن بما يهوى المريب . وقال ابن زيد : الخضوع بالقول
ما يدخل في القلب الغزل . وقيل : لا تلن للرجال القول . أمر تعالى أن يكون الكلام خيراً
، لا على وجه يظهر في القلب علاقة ما يظهر عليه من اللين ، كما كان الحال عليه في نساء
العرب من مكالمة الرجال برхим الصوت ولينه ، مثل كلام المومسات ، فنهاهن عن ذلك ، وقال
الشاعر : % (يتكلم لو تستطيع كلامه % .

لانت له أروى الهضاب بالصخر .

. %)

وقال آخر : % (لو أنها عرضت لأشمط راهب % .

عبد الإله ضرورة المتعبد .

. %)

. % (لربنا لرؤيتها وحسن حديثها % .

ولحالتها رشداً وإن لم يرشد .

. %)

.

وقرأ الجمهور : { فَيَظْمَعُ } ، بفتح الميم ونصب العين ، جواباً للنهي ؛ وأبان بن عثمان ، وابن هرمز : بالجزم ، فكسرت العين لالتقاء الساكنين ، نهين عن الخضوع بالقول ، ونهى مريض القلب عن الطمع ، كأنه قيل : لا تخضع فلا تطمع . وقراءة النصب أبلغ ، لأنها تقتضي الخضوع بسبب الطمع . وقال أبو عمر والداني : قرأ الأعرج وعيسى : فَيَظْمَعُ ، بفتح الياء وكسر الميم . ونقلها ابن خالويه عن أبي السماء ، قال : وقد روي عن ابن محيصن ، وذكر أن الأعرج ، وهو ابن هرمز ، قرأ : فَيُظْمَعُ ،